الإسلام والعروبة

هل الإسلام خصوصية عربية ؟

الإسلام ، كدين ، ومن حيث أصوله الاعتقاديَّة ، ليس " خصوصيَّة عربيَّة " حتى يكون قسمة من قسمات العرب القوميَّة ، وإنما هو من هذا الجانب ، وفي هذه الأصول – علاوة على كونه وضعاً إلهيّاً وليس إفرازاً بشريّاً – ذو قسمة عالميَّة وإنسانيَّة ، وذو طابع عام يتعدَّى الأمم والشعوب والقوميات والحضارات .. إنه في مجاله كالقوانين العامة التي – لعلميتها – تتعدى بصلاحياتها وتوجهها كل ما علي الأرض من حدود وفواصل وتقسيمات وسدود .

والإسلام الدين رغم عالميَّته التي تتعدى وتتخطَّى حدود القوميات والحضارات والأجناس . نجده يطلب من أتباعه إن هم أرادوا فقه معجزته ووعي آيته الكبرى أن يتعرَّبوا ؟! وتلك ولا شك خصوصيَّة عربيَّة للإسلام لا ريب فيها ولا إبهام رغم " عالميَّة الدين " ! (١)

من هو العربي في مفهوم الإسلام ؟

وفي مصر قدَّم الإسلام الحضارة مفهوماً للعروبة يتجاوز عصبيَّة الجاهليَّة ويرفضها . ويتجاوز النعرات العرقيَّة وينهي عنها ويضع محل

(١) د. محمد عمارة " الإسلام والعروبة " دار الشروق ص١٠، ١١ .

كل ذلك مفهوماً حضاريّاً ، يعتمد الفكر واللغة والعلائق القوميَّة بين أبناء هذه الجماعة البشريَّة معياراً لمن هو العربي .

فيخطب الرسول في الناس قائلاً : " يا أيها الناس إن الربَّ واحد ، والأب واحد ، وليست العربيَّة بأحدكم من أب ولا أمٍّ ، وإنما هي اللسان، فمن تكلم بالعربيَّة فهو عربي. "

وروي في مناسبة هذا الحديث أن قيساً بن مطاطية جاء إلى حلقة فيها سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي ، فقال : هذا الأوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل فما بال هذا ؟ فقام إليه معاذ بن جبل فأخذ بتلبيبه ، ثم أتى به النبي ﷺ فأخبره بمقالته ، فقام النبي ﷺ قائماً يجر ردائه حتى دخل المسجد ثم نودي: أن الصلاة جامعة ، وقال: (ذَكَر هذا الحديث) ، فقام معاذ بن جبل وهو آخذ بتلبيبه ، قال : فما تأمرنا بهذا المنافق يا رسول الله ؟ قال : دعه إلى النار ، فكان قيس ممن ارتدَّ في الردة ، فقتل .(رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق)

وهذا الحديث – ضعيف السند صحيح المعنى– يسحب بساط العنصريَّة المقيتة من العرب المُسْتَعْرِبة وينفي استئثارهم باللسان العربي دون العرب المُسْتَعْجَمَة ، وينزع نبرة الاستعلاء ونزعة العنصريَّة التي كانت لدى بعض العرب – كالأمويين ومن جاراهم – في التفاخر بأنهم أفضل البشر لأنهم هم العرب الذين نزل القرآن بلغتهم وبعث رسول آخر الزمان من بينهم .

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة الحجرات : ١٧]

عن ابن عباس قال : جاءت بنو أسد إلى رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله أسلمنا ولم نقاتلك وقاتلتك العرب فقال رسول الله ﷺ إن فقههم قليل وان الشيطان ينطق على ألسنتهم ونزلت ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ [رواه النسائي]

اليهود والنزعة العنصرية

ولقد أسلمت هذه النزعة العنصريَّة المقيتة اليهود إلى الادعاء أنهم شعب الله المختار وتحلَّلوا من العهود التي قطعوها على أنفسهم للعرب " الأميين " .

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

فمن اليهود من امتنع عن الوفاء بالعهود ، وجحدوا الأمانات والحقوق؛ بسبب زعمهم الباطل أنهم ليس عليهم حرج أو إثم أو تبعة في استحلال أموال العرب الأميين واستلابها منهم بأية طريقة ، لأن الأميين ليسوا على ملتهم .

واليهود يزعمون أن كتابهم يحل لهم قتل من خالفهم ، كما يحل لهم أخذ ما له بأي وسيلة . وهذا الخلق الذميم معرق في اليهود ، لأن أنانيتهم جعلتهم يحرفون كتبهم على حسب ما تهوى نفوسهم . (١)

العرب والمفاخرة بالعروبة والسيادة

وبعض العرب في العصر الأموي فاخروا بعروبتهم وسيادتهم على غيرهم من المسلمين من غير العرب وقسَّموا المجتمع إلى طبقات ثلاث

(١) د. محمد سيد طنطاوي " التفسير الوسيط " ص ٦٤٧ .

وجعلوا أنفسهم على رأس هذه الطبقات وجعلوا العرب المستعجمين مواليا لهم ثم جعلوا العبيد – وإن كانوا مسلمين – في الطبقة الدنيا .

أساس المفاضلة في مفهوم الإسلام

وهذا التقسيم لم يقل به القرآن الكريم ولم يعلمه رسوله الأمين إنما القرآن الكريم يقرر .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣]

يا أيها الناس إنَّا خلقناكم من أب واحد هو آدم، وأُم واحدة هي حواء، فلا تفاضل بينكم في النسب، وجعلناكم بالتناسل شعوبًا وقبائل متعددة؛ ليعرف بعضكم بعضًا، إن أكرمكم عند الله أشدكم اتقاءً له. إن الله عليم بالمتقين، خبير بهم .

وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة قال : " يأيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عُبَيَّةَ الجاهلية – أي تكبرها ، وتعظمها بآبائها ، الناس رجلان ، رجل يرتقى كريم على الله ، وفاجر شقي هين على الله . إن الله – تعالى – يقول : ﴿يا أيها الناس إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وأنثى ..﴾ ثم قال : " أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم " .

فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء سواء، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية، وهي طاعة الله ومتابعة رسوله ﷺ ؛ ولهذا قال تعالى بعد النهي عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضًا، منبها على تساويهم في البشرية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ أي: ليحصل التعارف بينهم، كلٌ يرجع إلى قبيلته. " (١)

عن أبي هريرةَ أنه قَالَ : قِيلَ: يَا رسولَ الله ، مَنْ أكرمُ النَّاس ؟ قَالَ : أَتْقَاهُمْ . فقالوا : لَيْسَ عن هَذَا نسألُكَ ، قَالَ : فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللهِ ابنُ نَبِيِّ اللهِ ابنِ نَبِيِّ اللهِ ابنِ خليلِ اللهِ قالوا : لَيْسَ عن هَذَا نسألُكَ ، قَالَ : فَعَنْ مَعَادِنِ العَرَبِ تَسْأَلوني ؟ خِيَارُهُمْ في الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ في الإِسْلامِ إِذَا فقُهُوا " [مُتَّفَقٌ عَلَيهِ]

و" فَقُهُوا " أيْ عَلِمُوا أحْكَامَ الشَّرْعِ وعَمَلُوا بِهَا . وكذلك خياركم قبل الإسلام من كل الشعوب خياركم في الإسلام إذا فقهوا .

فعن أبي ذر قال: إن النبي ﷺ قال له: " انْظُرْ فَإِنَّكَ لَسْتَ بِخَيْرٍ مِنْ أَحْمَرَ وَلاَ أَسْوَدَ إِلاَّ أَنْ تَفْضُلَهُ بِتَقْوَى " [رواه أحمد وحسنه الألباني]

رغم أن أبا ذر عربي ، والسود والحمر – غالباً – ليسوا عرباً .

" " إِنَّ اللَّـهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْفَخْرَ بِالآبَاءِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ النَّاسُ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ فَخْرِهِمْ بِآبَائِهِمْ فِى الْجَاهِلِيَّةِ أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّـهِ مِنَ الْجُعْلاَنِ الَّتِى تَدْفَعُ النَّتَنَ بِأَنْفِهَا " [صحيح رواه النسائي وأبو داود]

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ أَنْسَابَكُمْ هَذِهِ لَيْسَتْ بِسِبَابٍ عَلَى أَحَدٍ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ وَلَدُ آدَمَ طَفُّ الصَّاعِ لَمْ تَمْلَئُوهُ لَيْسَ لأَحَدٍ فَضْلٌ على أَحَدٍ إِلاَّ بِالدِّينِ، أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ، حَسْبُ الرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ فَاحِشًا بَذِيًّا بَخِيلاً جَبَانًا." [السلسلة الصحيحة للألباني]

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٧ ص ٣٨٥

إن اختلاف الألسنة والألوان ، واختلاف الطباع والأخلاق ، واختلاف المواهب والاستعدادات ، تنوع لا يقتضي النزاع والشقاق ، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات . وليس للون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعاني من حساب في ميزان الله . إنما هنالك ميزان واحد تتحدد به القيم ، ويعرف به فضل الناس : ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ والكريم حقاً هو الكريم عند الله . وهو يزنكم عن علم وعن خبرة بالقيم والموازين : ﴿إن الله عليم خبير﴾ .

وهكذا تسقط جميع الفوارق ، وتسقط جميع القيم ، ويرتفع ميزان واحد بقيمة واحدة ، وإلى هذا الميزان يتحاكم البشر ، وإلى هذه القيمة يرجع اختلاف البشر في الميزان .

وهكذا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات في الأرض؛ وترخص جميع القيم التي يتكالب عليها الناس . ويظهر سبب ضخم واضح للألفة والتعاون : إلوهية الله للجميع ، وخلقهم من أصل واحد . كما يرتفع لواء واحد يتسابق الجميع ليقفوا تحته : لواء التقوى في ظل الله . وهذا هو اللواء الذي رفعه الإسلام لينقذ البشرية من عقابيل العصبية للجنس ، والعصبية للأرض ، والعصبية للقبيلة ، والعصبية للبيت . وكلها من الجاهلية وإليها ، تتزيا بشتى الأزياء ، وتسمى بشتى الأسماء. وكلها جاهلية عارية من الإسلام !

موقف الإسلام من العصبية الجاهلية

وقد حارب الإسلام هذه العصبيَّة الجاهليَّة في كل صورها وأشكالها ، ليقيم نظامه الإنسانيَّ العالميَّ في ظل راية واحدة : راية الله .

وقال ﷺ عن العصبية الجاهلية : " دعوها فإنها مُنْتِنَة " .

وهذه هي القاعدة التي يقوم عليها المجتمع الإسلاميُّ . المجتمع الإنسانيُّ العالميُّ ، الذي تحاول البشرية في خيالها المحلق أن تحقق لوناً من ألوانه فتخفق ، لأنها لا تسلك إليه الطريق الواحد الواصل المستقيم . . الطريق إلى الله . . ولأنها لا تقف تحت الراية الواحدة المجمعة . . راية الله . (١)

وقد قال عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص عامل مصر وقد ضرب ابنه مصريّاً وافتخر بآبائه قائلاً : خذها من ابن الأكرمين . فاقتص منه عمر : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أحراراً أمهاتهم ؟

وابن الأكرمين – العرب – ليس كل من لبس الجلباب والغترة وسكن جزيرة العرب فليست العربيَّة بأحدكم من أب ولا أم ، وإنما هي اللسان ، فمن تكلم بالعربيَّة فهو عربيٌّ لا يتميز عليه غيره إلا بالتقوى وحسن العمل والخُلُق وتعمير الأرض .

العربية ليست عرقا ولا نسبا

فالعربيَّة ليست عرقاً ونسباً إنما هي لغة ولسان فمن تكلَّم العربيَّة فهو عربيٌّ وإن لم يكن أصله عربي وإسماعيل أبو العرب كان أبواه أعجميين ولم يكونا عربيين .

ويُقسم ابن خلدون العرب إلى أربع طبقات متعاقبة في المدى الزمني: العرب العاربة وهم البائدة، ثم العرب المُسْتَعْرِبة وهم القحطانية، ثم العرب التابعة لهم من عدنان والأوس والخزرج والغساسنة والمناذرة، ثم العرب المُسْتَعْجَمَة وهم الذين دخلوا في نفوذ الدولة الإسلاميَّة . (٢)

---

(١) سيد قطب " في ظلال القرآن الكريم " ج ٧ ص ٣ .

(٢) راجع تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ١٥ ، ١٦ .

ويقول الجاحظ " إن العرب قد جعلت من إسماعيل وهو ابن أعجمين – إبراهيم وهاجر– عربيّاً لأن الله فتق لهاته بالعربيَّة المبينة ، ثم فطره على الفصاحة (١)

وعلى ذلك فسكان العراق والشام ومصر وشمال إفريقيا وكل من يتكلم العربيَّة هم عرب يجمعون بين فضائل أصولهم العرقيَّة وحضاراتهم الإنسانيَّة وفضائل الإسلام التي لا يجنيها إلا من تعرَّب لسانه ليفهم الدين في نصوصه الأصليَّة وليس من المترجمات ولقد أفسدت المترجمات الديانات السابقة وكانت سبباً من السباب تحريفها والخروج بها عن هديها فالترجمة خيانة كما يقول المترجمون أنفسهم لذا حفظ الله تعالى القرآن الكريم من التحريف كما حفظ العرب المؤمنون اللغة العربيَّة وآدابها من الفساد عن طريق تأليف معاجم اللغة، وعلم النحو والصرف والبلاغة وعلوم اللغة) وحفظوا الحديث الشريف ونقُّوه مما علق به من موضوع وضعيف عن طريق علوم الجرح والتعديل والرجال.

العرب المستعجمة وصناعة الحضارة الإسلامية

لقد ساهم بالجهد الأكبر – ويا للعجيب – في حفظ اللغة العربيَّة وآدابها ونشأة علومها وحفظ الحديث الشريف ونشأة علومه مسلمو العرب المُسْتَعْجَمَة وليس العرب المُسْتَعْرِبَة وهذا يدل على أن الحفاظ على اللغة العربيَّة صيانة للإسلام وليس عصبيَّة جاهليَّة كالتي وقع فيها بعض من تفاخر بعروبته أو بقرشيته .

يقول ابن خلدون : " إن الصنائع من منتحل الحضر وأن العرب أبعد الناس عنها فصارت العلوم لذلك حضريَّة وبعد عنها العرب وعن سوقها

(١) نقلاً عن د. محمد عمارة " الإسلام والعروبة " دار الشروق ص٢٣ .

والحضر لذلك العهد هم العجم أو من هم في معناهم من الموالي وأهل الحواضر الذين هم يومئذ تبع للعجم في الحضارة وأحوالها من الصنائع والحرف لأنهم أقوم على ذلك للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس فكان صاحب صناعة النحو سيبويه والفارسي من بعده والزجاج من بعدهما وكلهم عجم في أنسابهم وإنما ربوا في اللسان العربي فاكتسبوه بالمربى ومخالطة العرب وصيروه قوانين وفنا لمن بعدهم وكذا حملة الحديث الذين حفظوه عن أهل الإسلام أكثرهم عجم أو مستعجمون باللغة والمربي وكان علماء أصول الفقه كلهم عجما كما يعرف وكذا حملة علم الكلام وكذا أكثر المفسرين ولم يقم بحفظ العلم وتدوينه إلا الأعاجم. (١)

ومن تعلَّم العربيَّة من غير العرب تعلَّم العربيَّة الإسلاميَّة التي تحمل الثقافة الإسلاميَّة وتمجد قيمه وتنفِّر من عادات الجاهليَّة المذمومة فاللغة العربيَّة التي تعلمتها الشعوب المُسْتَعْجَمَة لغة الإسلام ذات القيم الدينيَّة والرشاد وليست لغة الجاهليَّة التي ترسخ قيم الجاهلية الأولى ، تعلَّموا لغة القرآن الكريم ولغة الحديث الشريف ولغة الخلفاء الراشدين وفقهاء الإسلام وعلمائهم ؛ لذا لا عجب أن يقول سيدنا محمد ﷺ على سلمان الفارسي " سلمان منَّا أهل البيت " (٢) ومن المعلوم أن سلمان فارسيٌّ غير عربي وفي هذا بيان أن رابطة الدين بما تشتمل عليه من قيم إلهيَّة عالميَّة خالدة أهم من الرابطة العرقيَّة المحليَّة العنصريَّة الضيقة .

---

(١) تاريخ ابن خلدون ج ١ ص ٥٤٤ .

(٢) هذا الحديث في رفعه إلى النبي ضعف ، والصحيح وقفه على علي بن أبي طالب .

وكان من الطبيعي أن نجد فهم العرب المُسْتَعْجَمَة – أصحاب الحضارات العريقة – الإسلام فهماً يختلف عن فهم البدوي ، فإسلام العرب المُسْتَعْجَمَة إسلاماً حضاريّاً سمحاً وسطيّاً راقياً بعكس الإسلام البدويِّ المتشدِّد المتطرِّف الشكليِّ العنصريِّ .

الأفغاني ومفهوم الجامعة الإسلامية

ومفهوم الجامعة الإسلامية عند الأفغاني : " لا ألتمس بقولي هذا أن يكون مالك الأمر في الجميع شخصاً واحداً ، فإن هذا ربما كان عسيراً، ولكني أرجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن الكريم ووجهة وحدتهم الدين ، وكل ذي ملك على ملكه يسعى بجهده لحفظ الآخر ما استطاع، فإن حياته بحياته ، وبقاءه ببقائه . ألا أن هذا بعد كونه أساساً لدينهم تقضي به الضرورة ، وتحكم به الحاجة في هذه الأوقات"

وفي موطن آخر يتحدث الأفغاني عن وحدة النوع الإنساني الذي يتخذ الكرة الأرضيَّة له وطناً ثم يضيف : " إن اختلاف الأقاليم قد أثمر اختلاف الخواص التي تتميز بها الشعوب ، وهذه الخواص هي : اللغة، والأخلاق ، والعوائد ، والإقليم ، (الأرض – الوطن – البيئة) وهي نابعة من طبيعة الإقليم الذي تعيش فيه الجماعة البشريَّة ثم يضيف إليها عامل خارجي هو الدين فوحدة النوع الإنساني تعود فتتوزع إلى أقوام وشعوب بفعل هذه الخواص والقسمات " وتحت هذه المؤثرات تحصل للأقوام ميزة وتتأصل فيهم محبة (١) البقاء على المألوف والذود عنه ، واعتبار من خالفه أنه ليس منهم ، بل هو غيرهم بمعنى الغيرية المطلقة " .

(١) د. محمد عمارة " الإسلام والعروبة " دار الشروق ص٤٣ .

فهناك إذن – عند الأفغاني – دوائر ومستويات فالنوع الأول الإنسانيُّ واحد ، ولكن الخواص القوميَّة توزعه إلى شعوب وقوميات ، وبين الملَّة الإسلاميَّة روابط مصلحة ووشائج اعتقاد لكنها لا ترقى إلى الحد الذي تجعل الممكن والأصلح بالنسبة لهم هو الوحدة الاندماجية للدولة ، الأمر الذي يترك الباب مفتوحاً على مصراعيه للرابطة القومية ودولتها..

... فالأفغاني قد أردك أن الدولة العثمانية قد فشلت في تطوير الأقاليم العربيَّة التي حكمتها لأن الأتراك كقوم وجنس – كانت تَغْلُب عليهم " البداوة " وخشونة العسكر – لا يحسنون التعمير ، وهم ليسوا كالعرب الذين أجادوا كقوم وجنس النهوض بهذه المهمة فيما فتحوا من أقاليم بل وأدرك أن هؤلاء العثمانيين قد غدوا عقبة أمام هذه الأقاليم وعمرانها " فالدولة العثمانية بقيت سداً منيعاً للأمم المحكومة منها يحول بينها وبين الأخذ بأسباب الحضارة ومجاراة الأمم الراقية في مدنيتها وعلومها وصنائعها " (١)

عروبة مصر

وكما أن الروافد النهر تعمِّق مجراه وتزيد غزارة مياهه وقوة جريانه لكنها لا تغير مساره ولا تحرفه عنه مصبه فكذلك اختلاط غير المصريين بالمصريين (بالزواج والمعاشرة والاختلاط) قوَّى العنصر المصري وغزَّاه ولم يغيِّر طبيعته وذلك مثل عروبة مصر ثقافيّاً ، أما إسلام مصر فقد ردَّها إلى مجراها الطبيعي الذي فطرت عليه واقتلع الحشائش الضارة التي كانت تعيق الحركة المياه وبعض الجراثيم والميكروبات التي كانت تشوب صفائه وتغير من طعمه ولونه ورائحته

(١) د. محمد عمارة " الإسلام والعروبة " دار الشروق ص ٤٤ ، ٤٥ .

لـذا أصـبحت الـشعوب المُـسْتَعْجَمَة أنقـى عنـصراً باختلاطهـا بـالجنس العرب فمن المعروف أن التزاوج من غير الأقارب يقوى النسل بعكس زواج الأقارب .

وهذا يؤكده ما جاء في الأثر " لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاوياً"(١) " ضاوياً " أي هزيلاً ضعيفاً والذي يقوي هذا الأثر ما ذكره العلم الحديث من أن زواج الغرباء يقوي النسل بعكس زواج الأقارب .

فـالاغتراب فـي الـزواج فيـه مـصلحةٌ؛ حيـث إنـه يقـوِّي النـسل ويوسـع الروابط الأسريَّة والصِّلات بين الناس، والاغتراب يقوِّي النَّسل، وهو ما أكَّده علماء الهندسة الوراثية؛ لذلك حثَّنا علماؤنا وفقهاؤنا عليه؛ جاء في "مغني المحتاج" في فقه الشافعية: أن "الشافعي نصَّ على أنه يستحبُّ للرجل ألا يتزوَّج من عشيرته، وعلَّله الزنجاني بأنَّ من مقاصد النكاح اتِّصال القبائل؛ لأجل التعاضد والمعاونة باجتماع الكلمة ."

ويُلاحَظ أننا مطالبون بتقوية النسل والنشء الجديد، فقد جاء في كتاب "المغني" لابن قدامة الحنبلي: "ويختار الأجنبية؛ فإنَّ ولدها أنجب، ولهذا يقال: (اغتربوا لا تضووا)؛ يعني: أنكحوا الغرائب؛ كيلا تضعُف أولادكم؛ ولأنَّه لا تؤمَن العداوة في النكاح وافضاؤه إلى الطلاق، فإذا كان في قرابةٍ أفضى إلى قطيعة الرحم المأمور بصِلَتِها"، وهذا القول يصلح أيضًا تعليلاً مقبولاً لترجيح نكاح البعيدات.

***

(١) هذا الأثر لا يصح مرفوعاً إنما يعرف من قول عمر أنه قال لآل السائب قد أضويتم فانكحوا النوابغ كما قال ابن الصلاح .